مقاربة في مفهوم الحجاج

إعداد/ كامل عبد اللطيف كامل زهران

مُقدّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ الأمين. وبعد ،،،

فهذا بحث عنوانه (مقاربة في مفهوم الحجاج) كان من دوافع دراسته محاولة التأصيل لمفهوم ومصطلح نقدي ذاع في الآونة الأخيرة ؛ إذ إن مَن ينظر في تراثنا النقدي يجده حافلاً بالعديد من الأصول النقدية التي أصبحت في عصرنا الحاضر مناهج متكاملة يُعتَد بها في دراسة النصوص الأدبية وتحليلها ، ومن ثم الوصول إلى أحكام تقييمية دقيقة في ضوء إمكانات اللغة وما تحفل به من كوامن بلاغية شُدَّت إليها عقول علمائنا قديمًا وحديثًا ، ولا غرو إذ إنها لغة القرآن.

ويسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى التعرف على ماهية الحجاج من خلال تراثنا العربي بغية التعرف على مدى أصالة هذا المصطلح في تراثنا النقدي والبلاغي ؛ ليكون الطرح الذي يتناوله الباحث متمحورًا في الإجابة على السؤال : هل هناك علاقة بين مصطلح الحجاج بمفهومه الحديث وبين ما ذهب إليه البلاغيون القدماء ؟

كما يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى إعادة النظر فيما خلَّفه القدماء من تراث يعج بالمبادئ النقدية المهمة التي نجد لها أصداء في الفكر العربي ونحن ننبهر بما ينتجه الغرب ونتناسى ما رسخ في تراثنا العربي وبخاصة أن لغتنا مليئة بمظاهر أدبية وبلاغية كامنة فيها تعين على دراسة النصوص بأساليب متعددة ومتنوعةٍ.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحجاج منها : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم لمجموعة من الباحثين إشراف : حمَّادي صمّود ، وهذا المؤلَّف لنخبة من الدارسين والباحثين " قصد النظر في " البلاغة و الحجاج" بل في الحجاج في علاقته بالبلاغة لأنه هو الذي يبدو في نهاية الأمر مغمورًا في التراث البلاغي حسب النظرة السائدة إليه.[1] والباحث من خلال هذه الرؤية في محاولة لإثبات قيمة النظرة الحجاجية في بعض المؤلفات القديمة اللغوية والبلاغية ومن الدراسات السابقة (الحجاج) ! (كريستيان بلانتان) ترجمه عبد القادر المهيري وقد عرض المؤلِّف من خلال بحثه في الحجاج ما يدين به الحجاج للتراث اليوناني واستعرض أهم الدراسات التي تتناوله ثم تناول مجموعة أشكال الحجاج وتقنياته وأنماطه وموارده اللغوية ، وكل

أولئك جدير أن يحدو بالباحث إلى محاولة وضع تعريف للحجاج يبين فيه عن مدى فهمه للحجاج في الثقافة العربية.

وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي ؛ إذ إنه حاول تعقب المصطلح في المعاجم العربية بعضها مرورًا ببعض الكتب البلاغية لإثبات الرؤية البلاغية للحجاج ومدى أصالة هذا المصطلح لدى النقاد والبلاغيين ، كما أن الباحث عرض للوجهة الفلسفية والمنطقية لهذا المصطلح ، وهذا مما يعني شمولية هذه الفكرة النقدية وتعدد جوانب تناولها ودراستها.

والله الموفق.

- حول مفهوم الحجاج :

للغة مستويات تعبيرية متفاوتة أعلاها ما حقق الغاية والمقصد من التعبير وأحدث تأثيرًا في المتلقي ومن ثم تكون متوافقة مع المقام الذي تطرح فيه ولأجله والحجاج آلية نقدية حديثة لم ترتق بعد إلى حجم المنهج المتكامل ، ولكن هذه الآلية تتيح للباحث تطبيق محاورها على النصوص الأدبية لإثبات فكرة ما أو نفيها ولذلك سيبدأ الباحث في تأصيل المصطلح أولاً تمهيدًا للوصول إلى ماهيته ومعانيه في اللغة والاصطلاح.

- أولاً : الحجاج في اللغة :

تدور معاني الجذر اللغوي (حجج) لكلمة (الحجاج) حول الجدل في كتب التراث اللغوي، وقال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل ، والتحاج : التخاصم وجمع الحجة : حجج وحاجه محاجة وحجاجًا : نازعه الحجة ، وحجه يحجه حجًا : غلبه على حجته واحتج بالشيء " اتخذه حجة "[1] إذ يقول ابن منظور : يقال حاججته أحاجه حجاجًا ومحاجة أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجة : البرهان ، وقيل : الحجة : ما دُوفع بها الخصم ، وقال قدامة : في معنى حجة : حجته واضحة ، وبراهينه لائحة وشواهده ساطعة ، ودلائله لامعة ، وبراهينه ناصعة ، وأماراته صحيحة ، ومقالاته صادقة ، ودعاويه موافقة ، وبرهانه واضح ، وميزانه راجح[2] ويلاحظ الباحث تكرار كلمة برهان التي تستخدم لإثبات قضايا معينة ، وقال الزمخشري : احتج على خصمه بحجة شهباء ، وبحجج شهب ، وحاج خصمه فحجه ، وفلان خصمه محجوج[3] وهنا نشعر بفكرة الانتصار باللغة على الخصم بعد أن يتم تقديم كل الدلائل التي تفحم الخصم ولا تدع له مجالاً للجدل ، فالمنطق هنا هو قوة الحجة والدليل المقدم.

وفى كتاب (جمهرة اللغة) : الحجة من الاحتجاج ، والحجة : السُّنَّة وحاجيت الرجل محاجاة وحجاءً.[1]

أما في كتاب (المفردات في غريب القرآن) : فالحجة : الدلالة المبينة للمحجة ؛أي المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة النقيضين ، قال تعالى :﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[2]ويجوز أنه سمى ما يحتجون به حجة ، كقوله :﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3] فسمي الداحضة حجة ، وقوله تعالى : ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾[4] أي لا احتجاج لظهور البيان ، والمحاجة : أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته.[5]

وهنا يمكن للباحث أن يقول – وفقًا للرؤية السابقة – إن الحجاج هدم إذا كانت الداحضة حجة ، ولكنه هدم للآراء والتفكير ولكنه هدم وبناء في آن واحد أيضًا لأنك عندما تدحض رأيًا فإنك تحل مكانه رأيًا جديدًا.

وفي (القاموس المحيط) : الحجة : البرهان ، والمحجاج : الجدل[6] وفي ديوان الأدب : حج بنو فلان فلانًا ، أي : أطالوا الاختلاف إليه ، وحججته أي خصمته ، وحاجه : أي خاصمه من الحجة ، واحتج عليهم بحجة.[7]

وفي المعجم الكبير : حج الخصيم : غلبه بالحجة أو في الحجة وفي الخبر " فحج آدم موسى " وفي خبر معاوية –ﷺ– فجعلت أحج خصمي " وفي المثل لج فحج " لج فغلب من لاجه بحججه ... وفلانًا محاجة وحجاجًا : غلبه بالحجج التي أدلى بها ، وفلانًا بالشيء : اتخذه حجة.[1]

وفي المنجد : حج – حجًا : قصده ، يقال : حج بنو فلان فلانًا أي أطالوا الاختلاف إليه (...) حج – حجًا : غلبه بالحجة ، حاج حجاجًا ومحاجة : خاصمه فحجه ، تحاجًا ، تحاجا : تخاصمنا ، احتج : ادَّعى وأتى بالحجة ، وبالشيء جعله حجة وعذرًا له ، واستحج : طلب الحجة وأبداها والحجة ، الجمع "حجج" و " حجاج " : البرهان ، والمحجاج : الكثير الخصومة : المغلوب بالحجة.[2]

وفي معجم الأفكار والأعلام : حجة كوزمولوجية Cosmological argument مجادلة بفرض إثبات وجود الله ، تبدأ بوجود الكون الذي لا تفسير له إلى تفسير ذاتي بوجود إله ، وبدأ هذا الجدل في اليونان قديمًا مع أرسطو واتخذ أشكالاً عديدة أحدها : أن كل شيء يتطلب سببًا لحدوثه فالله لا سبب له وهو مسبب الكون، وفي العصور الوسطى حاجج توما الأكويني أن الكون لم يكن موجودًا ولذلك فمن المؤكد وجود كائن موجود بالضرورة على ما يعتمد عليه.[3]

– الحجاج في البلاغة العربية القديمة :

تبدو العلاقة بين الحجاج والبلاغة العربية من خلال فكرة مراعاة مقتضى الحال ، وهذا ما يحيل إلى فكرة الأنفع في الخطاب ، وإذا كانت التعريفات البلاغية قد اقتصرت على مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهذا بدوره أدى إلى التأنق في اختيار الألفاظ والصور ، بل أصبح هذا هو المعول عليه في قوة النص أو ضعفه كما أن البلاغة عنيت بإخراج الكلام في صورة مخصوصة والعدول بالكلام من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب[4]إذًا فالتقنيات الخطابية تعد عاملاً مشتركًا بين البلاغة والحجاج ، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الدرس البلاغي قد يتوج بخاتمة تنوه بقيمته البلاغية من حسن تصوير وتأثير في النفس[1] ، ومن ثم يمكن ربط البلاغة العربية والحجاج بغايات إقناعية ومن هنا تكمن الصلة بين البلاغة العربية والحجاج في جانب من جوانبه ، وهو جانب رئيس ، إذ إن الغاية المثلى من إقامة خطاب حجاجي تتمثل في الإقناع.

ويعد الجاحظ (ت 255 هـ) من أبرز البلاغيين القدامى الذين ربطوا بين البلاغة والحجاج ، وهذا في كتابه (البيان والتبيين) ، ومن ذلك قوله : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة ، وربما كان الإضراب عنها صفحًا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر[2] ، وتبدو الإشارة الحجاجية للجاحظ في هذا القول في فكرة انتقاء الحجة وموضعها ، وهو ما يعد بُعدًا لغويًّا يتعلق بالحجاج في الفكر الحديث إذ إن الحجاج يعتمد على التقنيات اللغوية وبراعة استغلالها وتوظيفها.

كما أن الجاحظ قد وظف الحجاج في الأطر الدينية ، ومن اهم تلك المواضع السؤال الذي وجهه حفص بن سالم إلى عمرو بن عبيد عن ماهية البلاغة فأجابه : " فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسُّنَّة كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستوجبت على الله جزيل الثواب".[3]

وهو يدخل الحجة في إطار ديني خالص ، إذ يقول : " وللعجب من لبيب توبقه الحياطة ، ويسلم مع الإضاعة ، ويؤتى من الثقة ولا يشعر بالعاقبة إن أهمل عمي وإن علم نسي ، كيف لم يتخذ الحق معقلاً ينجيه والتوكل ذائدًا يحميه أعَمِيَ عن الدلالة وعن وضوح الحجة ، أم آثر العاجل الخسيس على الأجل النفيس.[4]

هذا وقد ربط الجاحظ بين البلاغة والحجاج في روايته المرفوعة إلى إسحاق بن حسان أنه قال : " قال إسحاق بن حسن بن قوهي : " لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط ، سئل : ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في

السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابًا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرًا ، ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا".[1]

أما أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) فيدخل الحجاج في كتابه الصناعتين تحت عنوان (في الاستشهاد والاحتجاج) ويصفه أنه كثير في كلام القدماء والمحدثين وهو أحسن ما يُتعاطى من أجناس صنعة الشعر ، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته.[2]

وقد جعل (السكاكي) الحجاج في علم الاستدلال ، وهو " اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه بواسطة تركيب جمل " ، بحيث تسمي الجملة حجة واستدلالاً مع اكتساب إثبات أو نفي بوساطتها".[3]

وفي (أساس البلاغة) " احتج على خصمه بحجة شهباء ، وبحجج شهب ، وحاج خصمه فحجه ، وفلان خصمه محجوج ، وكانت بينهما محاجة وملاجة . وسلك المحجة ، وعليكم بالمناهج النيرة والمحاج الواضحة"[4] ، ويبدو أن الزمخشري – في نظر الباحث – من أقرب المؤلفين لمفهوم الحجاج في العصر الحديث ، حيث إنه يشير إلى قوة الحجج بل إن من مهام الحجة أن تدحض حجج الآخر ، ثم إنه يشير إلى قيمة الوضوح في الحجة بحيث لا يمكن نكرانها ، وهذا مسلك قوي في مجال الحجاج.

أما (حازم القرطاجني) (ت 684 هـ) فيقول في (منهاج البلغاء) : " لما كان كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال ، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويله عن تقوية الظن لا على إيقاع اليقين اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق(.....) لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه وقد يخيل على غير ما هو عليه وجب أن تكون الأقاويل الخطبية – اقتصادية كانت أو احتجاجية – غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق ؛ لأن ما يقوم به وهو الظن مناف لليقين وأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبدًا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب ، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة".[1]

ويربط (حازم القرطاجني)– هنا – بين الحجاج وبين تقوية الظن لا على إيقاع اليقين ، ولذلك فهو قد اتجه إلى فكرة قوة الحجة إذ إن تقوية الظن تجاه قضية ما أو موضوع معين لا يحدث إلا بحجة قوية ؛ لأن كل كلام – في نظره – يحتمل الصدق والكذب ، ويمكن القول : إن القرطاجني أضاف فكرة إمكانية العدول من مجرد تقوية الظن تجاه قضية محددة إلى التصديق ، وهذا لا يحدث إلا من خلال عرض مسلمات لا يمكن تكذيبها بحال من الأحوال.

ويربط (ابن معصوم المدني 1052 – 1120 هـ) بين الحجاج وبين ما جاء في القرآن الكريم من براهين وأدلة ، حيث يقول : " قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة . ما من برهان ولا دلالة وتقسيم وتحديد ينهي من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين :

أحدهما : بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]والثاني : إن المائل إلى دقيق المحاجة والعاجز عن إقامة الحجة بالجلي من الكلام فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزًا ، فأخرج – تعالى – مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة لتفهم العامة من جليها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ويفهم الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء.[1]

ويؤكد ابن معصوم على ضرورة أن تكون الحجة واضحة ومن هذا الوضوح يزداد الإقناع ، وقد استدل على ذلك من وضوح الحجج الواردة في القرآن.

وإذا كانت هذه الرؤى البلاغية في تراثنا العربي قد ربطت بين الحجاج وبين البلاغة لكن ذلك كان في عَرَض الحديث عن علوم البلاغة ، أي أن الحجاج لم يكن مذهبًا بلاغيًّا مستقلاً ، ولئن ألمحنا إشارة البعض إلى الحجج بوصفها قوية أو ضعيفة فتلك مقاربة بين قوة الحجج وبين مفهوم السلم الحجاجي في نظر (ديكرو) إذ إن " الحجج حينما تتفاوت ضمن الحقل الحجاجي نفسه تكون سلمًا حجاجيًّا"[2] فالحجج وفقًا لمفهوم السلم الحجاجي تأخذ ترتيبًّا متلازمًا ومتدرجًا " فالمحاجة ليست مطلقة إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة".[3]

فالبلاغة العربية تقترب في بعض الاتجاهات من دلالات الحجاج في العصر الحديث ، ففي العصر الحديث يمكن القول : إن الحجاج أصبح مذهبًا نقديًّا يعتمد بشكل رئيس على إمكانيات اللغة ، وما أثرى لغتنا بهذه الإمكانات ! لما لها من خصائص فريدة ، ويمكن القول : إن قصدية الحجاج ذاتها نابعة من اللغة ؛ فاللغة هي " المجال الذي تتكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأجلى مظاهرهاوما دامت الحجة لا تفارق اللغة ، فإنها تنطوي على أقوى مظهر للقصدية ولا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي " حج " يفيد لغة " قصد " فتكون كل حجة بمنزلة حجة أي تكون قصدًا ، ولما كانت القصدية هي التي تسند للقول قيمة الفعل اتضح أن الوصف الفعلي ممثل بأجلى مظاهره في الحجة الموجهة".[1]

فالقصدية إذن مسلك بلاغي ، وكلمة بلاغة " ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة المقاصد ... والبلاغة مدارها تحقيق الأهداف بواسطة اللغة ".[2]

ويمكن أن نستنتج وفقًا لهذه الآراء أن فكرتي القصدية والمقاصد ينتج عنهما تواصل ، فحدوث التواصل إذن غاية بلاغية ، ومن ثم للوصول إلى هذه الغاية لابد من اللجوء إلى الإقناع ، وكل ذلك يتصل بشكل وثيق بالحجاج ، ولما كان كل حجاج تواصلاً " فإننا نحصل على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة وهي : –

(أ) النموذج الوصلي للحجة ، تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلاً تمامًا.

(ب) النموذج الإيصالي للحجة ، تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال لأنه يجعل من الحجة فعلاً استدلاليًّا يتوجه به المتكلم إلى المستمع.

(ج) النموذج الاتصالي للحجة تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال إذ ينظر في الحجة بوصفها فعلاً مشتركًا بين المتكلم والمستمع جامعًا بين توجيه الأول وتقويم الثاني".[3]

ويشير الباحث إلى أن هذه الخصائص الاتصالية التي توضح ماهية الحجة تختلف في قوتها من إنسان لآخر ، وكذلك فإنها بدلالاتها المشار إليها غير ملزمة للمستمع ولو طبقنا هذا على القضية الفلسطينية فإن الحجاج القائم في الشعر مهما كانت نجاعته لم يغير الموقف الراهن ، كما سنرى في مباحث أُخَرَ ، ولكن تبقى الإشارة إلى أننا هنا بصدد توضيح العلاقة بين البلاغة والحجاج وما بينهما من وظيفة تواصلية.

– الحجاج من الوجهة الفلسفية :

يبدو الحجاج من وجهة الفلسفة واضحًا وفقًا للأطر الحديثة لدراسته فقد عرَّفه (جميل صليبا) أنه " جملة من الحجج التي يؤتي بها للبرهان على رأي أو إبطاله ، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها ، وفي قولهم : البينة على المدعي معنى هذا القول أن عبء الإثبات يقع على المدعي لا على المنكر".[1]

والحجة Argument ما يراد به إثبات أمر أو نقضه ومن هذا الوجه تكون الحجة مرادفة للاستدلال ، فيقال : إن الحجة هي الاستدلال باطنًا وظاهرًا ومن ثم فكل ما يقال عن الاستدلال يقال عن الحجة[2] ، وفي موسوعة (لالاند) يعرف الحجاج بأنه " مسرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها أو طريقة عرض الحجج وترتيبها "[3].

وبهذا يمكن القول : إن المحاجج إذا توخَّى طريقة عرض الحجج بالشكل المطلوب فإن هذا يساعد في جعل حجاجه مؤثرًا ومقنعًا ، وهذا هو هدف الحجاج وغايته ، أن يحدث التأثير في المتلقي ، كما أن توخي طرائق عرض الحجج بالشكل المطلوب فإن هذا يساعد في جعل حجاجه

مؤثرًا ومقنعًا ، وهذا هو هدف الحجاج وغايته ، أن يحدث التأثير في المتلقي ، كما أن توخي طرائق عرض الحجة يقوي من القضية المطروحة للحجاج.

وتشترك النظرة المنطقية للحجاج مع النظرة الفلسفية فهو في المنطق كما عرفه صاحب كتاب (التعريفات) : " القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بقصد تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة".[4] وهو " صناعة تمكن الإنسان من إقامة الحجج المؤلفة من المسلمات أو من ردها حسب الإرادة ومن الاحتراز عن لزوم المناقضة في المحافظةعلى الوضع".[5]

إذن فالغرض من الحجاج هو التوضيح والتعديل في معتقد ما ، وتقوم آليات الحجاج – بوصفه صناعة – على اللغة في المقام الأول ومدى استثمار طاقاتها وهنا تبدو الصلة الوثيقة التي تربط بين المعاني السابقة وتتمثل في الدقة في اختيار الألفاظ مراعاة للموقف وللقضية.

ومن خلال هذه الإطالة السريعة في كتب التراث يجد الباحث أن الحجاج في معناه اللغوي يدور في معان بعينها نجتمع حول الجدال والبرهان وإثبات حجة المتكلم لدحض حجة الخصم ، وبمعنى آخر يعني : الانتصار لرأي المتكلم واستعمال كلمة الانتصار مقصود من الباحث ؛ لأن السابقين جعلوا معنى هذه الكلمة قائمًا بين متكلم وخصم أو وخصوم من منطلق وجود مواطن الجدال والاختلاف العقيم الذي لا طائل منه ولا ينتهي إلا بعد أن يتم إثبات حجة ما أو نفي الأخرى تمامًا بحيث لا يعتد بها بعد ذلك ؛ ولذلك كانت كلمة " الانتصار " مصطلحًا يتوافق مع وجود خصمين يتحاجان حول قضية ما ، كما يمكن للباحث أن يستنتج من خلال العرض السابق أن الحجاج هدم وبناء في آن واحد ؛ هدم لرأي سابق وبناء لرأي جديد ، وهو هدم بكل ما تحمله الكلمة من دلالات ؛ بحيث لا يتوقع الاحتجاج بالمهدوم مرة أخرى.

- ثانيًا : الحجاج في الاصطلاح :

يعد الحجاج مصطلحًا حديثًا ، ويقصد به محاولة وصف الخصائص الإقناعية للنصوص وتحديدها ، ويدخل الحجاج الآن في إطار المناهج اللسانية وقد ظهر هذا المصطلح في فترة الخمسينيات من القرن العشرين في مؤلفات بيرلمان Perelman ، حيث كانت دعوته لما سمي بالبلاغة الجديدة The New Rhetoric عام 1958 ، وكان المقصد

والغايـة مـن تلـك الدراسـة اسـتمالة عقـل المتلقـي والتـأثير فـي سـلوكه ، وبهـذا يتخـذ الحجـاج Argumentation مفهومين : –

الأول :طريقـة تحليـل واسـتدلال بقصـد تقـديم مبـررات مقبولـة للتـأثير فـي الاعتقـاد أو السلوك.

الثاني : عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق Logic للتأثير في الآخرين.

وهنـا نجـد أن التواصـل والتـأثير شـرطان أساسـيان لإقامـة عمليـة الحجـاج ، فالقصـد هـو الوصول إلى غاية مُثلى للمتحدث ليقنع بها المتلقي ، ولذلك فإن التأثير في السلوك لا يحدث إلا من خلال الحجة القوية التأثير التي لا تدع معها مجالاً للشك في مدى صحتها.

وقد عرف (بيرلمان) Perelman البلاغة الجديدة بأنها : " جملة من الأساليب تضطلع فـي الخطـاب بوظيفـة تحفـز المتلقـي علـى الاقتنـاع بمـا تعرضـه عليـه أو الزيـادة فـي حجـم هـذا الاقتناع".[1]

والخطـاب الحجـاجي يهـدف إلـى توجيـه المتلقـي إلـى وجهـة معينـة واحـدة دون سـواها ، ويمكـن فـي ذلـك اسـتغلال البنـى اللغويـة المتنوعـة وآليـات المنطـق وهـذا بقصـد إبـراز السـمة التوجيهية للخطاب الأدبي ، ولهذا يمكن للباحث القول : إن للخطاب الحجاجي سلطة وقوة بحيث لا يسمح بوجود خطاب مضاد وهذه السلطة – فيما يرى الباحث – هي الغاية المثلى – التي ذُكرت آنفًا – وبذلك يغدو الحجاج سمة مميزة للخطاب الأدبي وبخاصة فيما يتعلق بقضايا قومية مثل قضية الدولة الفلسطينية ، حيث إن اليهود قد لجؤوا إلى الافتراءات والأكاذيب لإثبات أحقيتهم المزعومة في تلك الأرض وإقامة دولتهم ، ولذلك فإن دور الحجاج هنا يبدو مهمًا في دحض تلك الأكاذيب وتفنيد هذه الحجج.

إن الخطاب الحجاجي لا يكتفي فقط بعرض الحجة أو الدليل ،وإنما يهتم بالمتلقي أيضًا ، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة آليات الحجاج في إقناعه بالفكرة – أو بالأحرى – بالحقائق ، فنحن هنا أمام حقائق تاريخية وليس مجرد أفكار ، وهذه الحقائق ثابتة ،والآخـر : المحـاجَج هـو مَـن يحـاول تغييرهـا أو تزييفهـا لإثبـات حقـائق أخـرى مناقضـة للواقـع فالخطاب الأدبي وحده في مثل هذه المواقف قد يؤدي دورًا بارزًا من بين مجموعة عوامل أخرى لرد هذه الحقائق المزيفة التي يدعيها لآخر ، بل قد يقوم بالدور الأمثل للكشف والتوضيح ومن ثم تغيير الأبعاد الثقافية في العالم كله.

وقد ذكر الباحث أن هناك حقائق تاريخية ثابتة الأمر الذي يدعوه إلى القول : إن معظم ما يقال من شعر فلسطيني يحمل دلالات حجاجية وبخاصة أن البحث في البرهان لا يمكن أن يقتصر على ما يناسب الجمهور الجاهل ؛ لأن الحجج أو الخطاب الحجاجي ذو طابع عقلي " لأنها تتوجه إلى قُرَّاء لا يخضعون للإيحاءات والضغوط والمصالح والأهواء ، وعندئذ يتضح لنا أن هذه التقنيات البرهانية تبدو على كل المستويات ، سواء أكان الأمر يتعلق بنقاش عائلي ، أم بحوار جد لي في وسط مهني متخصص ، أو بمحاجة أيديولوجية ، وإذا كانت نوعية المستمعين الذين يؤيدون بعض البراهين في مجال التخصص الدقيق هي ضمان قيمتها – فإن أبنية البراهين المستخدمة في المناقشات اليومية هي التي تجعلنا ندرك سبب فهمها وكيفيته.[1]

يقوم الحجاج على التفاعل اللغوي في العلاقات الاجتماعية وإذا كان الحجاج يدور في معناه اللغوي حول الجدال ، فإن للجدلية عدة معان وهي تنطبق هنا وفي الدراسات الحجاجية عامة – على " شكل حوار معقلن[*] يُدار حسب قواعد دقيقة يواجه عارض معارضًا أمام جمهور يقوم بد فعله بالتحكيم حول النقاش ، وتتعاقب الأسئلة والأجوبة حسب نظام يعد التفاعل اللغوي عند السفسطائيين التاريخيين الواقع الأخير الذي تتم فيه العلاقات الاجتماعية ، ومن وجهة نظر الأفلاطونيين فإن خطيئة هذا التفاعل القاتلة هي في أنه ليس بحثًا عن الحقيقة وإنما هو مباراة كلامية يُدحض في نهايتها أحد الأطراف".[2]

ومن اللافت للنظر أن فكرة الحجاج يجتمع فيها علوم اللغة والبلاغة والمنطق والفلسفة ، كما أنها فكرة جديرة أن تجعل القارئ يتجاوز حدود النظرة الشكلية التي تقوم على الزخارف اللفظية ، وتتعدى ذلك إلى البصر بالحجة مما يعمق النظرة لدى القارئ للنصوص فضلاً عن دراسة النصوص بأبعاد استدلالية منطقية.

ويحدد كل من (بيرلمان) و (تيتكاه) Perelman and Tyteca غاية الحجاج في أنه يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه ، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة.[1]

هذا وتميز الخطابة القديمة بين خمس مراحل في إنتاج الخطاب القائم على الحجاج :

. المرحلة الحجاجية (الظفر بالحجة) بواسطة الفكر يتم البحث عن الحجج الوجيهة في النظر المتعلق بقضية ، وتقترح كتب الخطابة القديمة تقنيات تمكن من الفوز (ابتكار) بمثل هذه الحجج.

. المرحلة النصية (الترتيب) وفيها تنظيم الحجج التي تم الظفر بها تبدأ مثلاً بحجة تكون بالأحرى ضعيفة مع الاحتفاظ لنهاية الخطاب بـ"الحجة الدامغة " التي من شأنها أن تحمل أشد الحضور ترددًا على أخذ القرار.

. المرحلة اللغوية (العبارة) حيث يصاغ الحجاج الذي تم التفكير فيهفي كلمات وجمل ويوفر لسدى الحجاج لحمته اللغوية.

. أما المرحلتان الأخيرتان فهما مرحلتا ترسيخ الخطاب في الذاكرة وهو أمر ضروري بما أنه يجب إلقاؤه على جمهور في اللحظة النهائية الحاسمة لحظة " العمل " فبواسطة الترسيخ في الذاكرة وبواسطة العمل يكون عمل الخطيب من جنس عمل الممثل".[2]

ولئن كان الحجاج يبرز بشكل كبير في فن الخطابة ، فإنه ينبثق من اللغة ومن ثم يمكن القول إن نظرية الحجاج ليست خطابية فقط من منطلق أن كل قول يُعد حجاجيًّا ؛ لأن كل قول غايته التأثير والتوصيل لفكرة أو مجموعةمن الفِكر وإذا كانت الفنون القولية تقوم على صناعة الكلمات فالشعر أحد الفنون القولية التي تعتمد على اللغة في المقام الأول ، وكل عمل لغوي يتطلب نشاطًا فكريًّا، والحجاج " نشاط لغوي بصحبه نشاط فكري وينتج أثرَ فكرٍ ، فنحن نقبل على ميدان الحجاج بواسطة علوم اللغة ، فالحجاج نشاط فكري يعبر عن نفسه ويترك أثرًا في الخطاب (...) وإذا عددنا الحجاج ظاهرة خطابية تنتمي إلى ممارسة اللغة في مقام أمكن الاختيار بين أمرين :

كل كلام حجاجي حتمًا فهو نتيجة ملموسة للتلفظ في مقام ، وكل ملفوظ يرمي إلى التأثير في المرسل إليه في الآخر وتبديل نسق فكره ، وكل ملفوظ يجبر أو يحمل الآخر على الاعتقاد وعلى الفعل بطريقة غير طريقته ودراسة الحجاج هي دراسة نفسية لسانية أو اجتماعية لسانية.

بعض الخطابات فقط حجاجية وينبغي البحث عن الحجاجية في طريقة تنظيم الخطابات وهذا الموقف هو موقف النظريات الكلاسيكية للحجاج البلاغي".[1]

وتقوم البنية النظرية للحجاج على أركان عديدة تتمثل في :

١- طرفي الحجاج .
٢- القضية المتنازع عليها.
٣- خطاب الحجاج.
٤- الإقناع.
٥- جمهور الحجاج (من المخاطبين والمتلقين).

إن قضية الحجاج والتوظيف الفني له في شعر القضية الفلسطينية لا تقتصر على مجرد إقناع الآخر بالحجة ، أعنى بالآخر – هنا – المحتل الإسرائيلي ، ولكن يجب أن تمتد أبعاد هذه الفكرة وأن ترتقي للتأثير في الآخر في أي مكان في العالم.

فالشعراء الفلسطينيون أحد طرفي الحجاج أما الطرف الآخر فيتعدد وهذا التعدد ناجم من طبيعة القضية الفلسطينية التي تأخذ بعدًا إنسانيًّا عالميًّا ؛ ولذلك تظهر – هنا – قوة اللغة بما تمتلكه من أدوات تُظهر الحجة بحجم القضية ؛ولذلك فمقياس القوة يتفاوت من شاعر لآخر كما أن الأساليب الإقناعية والحجاجية التي يلجأ إليها الشعراء تختلف من شاعر لآخر بمقدار تمكنه من اللغة والتراث.

يرتبط الحجاج ببعض المفاهيم الأخرى كالاستدلال والبرهان والإقناع وهي مصطلحات تمثل وجود الحجاج في النص من جهة ، وتعرُّف سمات الخطاب الحجاجي من جهة أخرى ، وهذه السمات تحدد المراتب التي يترتب بها الحجاج ويمكن للمتفحص الواعي أن يدرك منزلة قطبي التواصل من هذا.

ماهية الحجاج :

الحجاج عملية عقلية وذهنية في المقام الأول ، وفي الوقت نفسه يتسم بقدر كبير من الحرية في الإذعان والتسليم من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة حول قضية ما ، وهذه هي الفروق اللغوية الدقيقة بين بواعث الحجاج وبواعث الجدل ، فالحجاج عكس العنف لكل مظاهره ؛ لأنه نابع من العقل.

وإذا كان الحجاج عملية عقلية فيشترط لذلك أن يحدث الاقتناع والحمل على الإذعان في المحاجة ؛ ولذلك " فإن عملية الحجاج وغايته تقع في منطقة وسطى بين الاستدلال والإقناع ، فالاستدلال بكافة عناصره المكونة له غير قائمة على التعدد والاشتراك ، فهي أحادية المعنى بحيث تكون هذه العناصر مما يفهمه الناس جميعًا بدون اختلاف بينهم ، ولا يثير تأويلها أي مشاكل أو مسائل خلافية بينهم"[1]على عكس الحجاج تمامًا حيث يكون التعدد والاختلاف والخصوصية والارتباط بالمقام على الرغم من أن الحقيقة في الحجاج نكون نسبية وذاتية ولكن لا إلى غير حد ، وهي مرتبطة بالمقام وهذا على عكس الاستدلال الذي تفضي فيه المقدمات إلى نتائج محددة ولا تكون هو مجال بحث المناطقة الذين يسعون إلى شكلنة الأنظمة بصرف النظر عن محتوياتها"[1]، على أن الحجاج مثلما إنه ليس موضوعيًّا محضًا فإنه ليس ذاتيًّا محضًا بمعنى أنه ليس إقناعًا على اعتبار أن الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة مما لا يدع مجالا

لإعمال العقل ولحرية الاختيار إذ من مقومات الحجاج عند المؤلفين[*]حرية الاختيار على أساس عقلي إن الإذعان يكون بواسطة الاقتناع"[2].

والواضح من هذه المقولات أن ماهية الحجاج تقوم على أساس عقلي ، وسواء أكانت النتيجة إقناعًا أم اقتناعًا فالأساس واحد وعلى الرغم من أن (شانييه) يرى أن " المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة ، أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائمًا".[3]

والمؤلفان يردان كل أنواع الحجاج إلى النوع العام ، وذلك يمكن القول إن الحجاج المعمول به عند المؤلفين هو الحجاج الاقتناعي فهو حجاج عقلي دائمًا على أساس أن الاقتناع يكون عقليًّا أيضًا.

وإذا كان المؤلفان يريان أن مجال الحجاج هو الخطابة ، والخطابة كما يراها أفلاطون في (فيدر) منضوية تحت مظلة الحقيقة بحيث تكون النتائج العملية التي ينبغي التوصل إليها من دراسة الوقائع من نتائج تفرض نفسها على كل عاقل".[4]

لكن الباحث يرى أنه لا يمكن أن نقصر هذه الفكرة النقدية على مجال قولي واحد ، وبخاصة في مثل لغتنا العربية الثرية فهي منبع للتطبيق النقدي بكل وجوهه وبكل فنونها القولية ، بما فيها الشعر ، ولذلك يكن الاستفادة من آليات الحجاج وتطبيقها في شعر القضية الفلسطينية التي تنطوي على حقائق معينة معلنة ومعروفة للجمهور العام – ليس الخاص فقط – بحيث يمكن دراسة شعر القضية الفلسطينية وتطبيق آليات الحجاج عليها بغية الوصول إلى ذروة النتائج من خلال الحجاج الاقتناعي حيث يتحقق عقليًّا من خلال هذه النصوص الشعرية المتنوعة ، هذا مما يحمل الباحث على دراسة مجموعة نصوص تتناول القضية بأبعادها القومية والتاريخية والإنسانية ، وذلك ليجد القارئ – وفقًا لنظرية الحجاج – مجالاً لإعمال العقل بدلاً من الخيال والعاطفة فقط ، ولحرية الاختيار عندما تتوافق النصوص الشعرية مع هذه الأبعاد حيث تحدث عملية الاقتناع بشكل عقلي مما يحقق الغاية المثلى من هذه النصوص عندما يجد القارئ أصداء لهذه الحقائق في فكره وعقله.

وفي سياق الحديث عن ماهية الحجاج وعن كونه متوافقًا مع التفكير والعقل فقد أشار أرسطو – أول من تطرق للحجاج – إلى ذلك بقوله : " فأما التصديقات التي تكون بالصناعة فلا يخبرون عنها بشيء ، وهذه إنما تكون من قبل التفكير ومن أجل هذا ما يقول على أن الحيلة أو الصناعة في التفسير والتشاجر واحدة وأنه إذا كان التشاجر فوليطيًا أي مدنيًّا فهو خير وأشرف مذهبًا من التفسير الذي يجري في الأخذ والإعطاء ، فأما هؤلاء فلم يقولوا في التفكير شيئًا لكنهم يتكلفون بتزويق الكلام أن يضعوا الحكم في كل شيء من الأشياء".[1]

وتبدو الإشارة إلى الحجاج بهذه المقولة من خلال كلمتي (التصديقات التي تعني الحجج) وكلمة (التشاجر التي تعني الجدل). ولكن هل يقوم العمل الأدبي على مثل هذه التحديات الصارمة بحيث تكون الحقائق والنتائج المرجوة شبة ثابتة أو محددة " في الحقيقة إن العمل الأدبي بعامة والشعري بخاصة له خصوصية تجعله يتميز عن الكلام العادي ، إذ إنه من المؤكد أنه يعبر عن أحاسيس ومشاعر خاصة بالمبدع ، كما أن لغة الشعر – في حد ذاتها – لغة خاصة تتميز بتركيباتها المتفردة من تجوز أو مجازات واستعارات ، ومن خلال هذا نجد أن الفلاسفة – إزاء الحجاج – مضطرون إلى أن يضعوا في الحسبان إلى جانب العقل " أهواء الإنسان ومصالحه التي من شأنها أن تتعارض مع ما يمليه العقلبحيث يكون الحجاج لغاية التأثير في الإدراك من ناحية ولغاية التأثير في الإرادة من ناحية أخرى (أي في الأهواء) ، ومعنى ذلك أنه يوجد حجاجان : الأول من مشمولات الفيلسوف فهو يخاطب جمهورًا خاصًا تكون غايته إسكات أهواء هذا الجمهور تقوية لجانب الموضوعية في تدارس القضايا محل النقاش أما الحجاج الآخر يكون من غايته دغدغة العواصف وإحداث التأثير في السامعين لبلوغ درجة من الإذعان عالية".[1]

إن الحقائق التي تعرض من خلال النصوص يجب أن تجد لها أصداء لدى الجمهور مما يحدث نوعًا من جدلية العلاقة بين الفكر والعمل ، وإن ما يتوسل به الأديب من شأنه أن يجعل الجمهور يشارك الأديب في آرائه ومشاعره ، وأن النوع البرهاني " لهو النوع الوحيد القريب من الأدب لاعتماده الوسائل الأدبية ".[2]

وفي إطار الحديث عن ماهية الحجاج فإن المؤلفين السالفي الذكر يميزان بين الحجاج وبين الخطابة من جهتين :

١- من جهة نوع الجمهور : لئن وقفت الخطابة جمهورها على الجماعة المجتمعية في الساحة تستمع إلى الخطيب فإن جمهور الحجاج – كما يراه المؤلفان – يمكن أن يكون عامًا حاضرًا أو غائبًا كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

٢- من جهة نوع الخطابة : لئن حصرت الخطابة الخطاب في ما في شفوي فإن الخطاب الحجاجي عند المؤلفين يمكن أن يكون منطوقًا كما يكون أن مكتوبًا بل إنهما ليلحان على المكتوب ، ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب".[3]

ويرى الباحث إزاء هذه الرؤية أن مفهوم الحجاج يرتقي بحق إلى مرتبة أن يكون نظرية لها سمتها الخاص ، كما أن هذه الرؤية توسع من دائرة الحجاج لتجعله غير مقصود على اتجاه واحد بل جعلته متشعبًا إلى أكثر من اتجاه الأمر الذي يثري من قيمة النصوص

المتضمنة للحجاج ، إن هذا الرأي بمنزلة تحرير لهذه الفكرة من أسر الخطابة ، بيد أن هذا التحرير داعمه القوى هو انبثاق أو ميلاد هذه الفكرة من رحم اللغة في المقام الأول ، فهو آلية لغوية تحمل المخاطب على التصديق بمنطلقاتها.

– بواعث الحجاج :

إن الخطاب ممارسة كلام بين طرفين أو أكثر ، فقد توجد هذه العلاقة لإقامة خطاب يكون لنقل قول أو الإخبار عن شيء ، الخطاب الحجاجي يقوم في الأساس على الاقتناع ، ولذلك – فيما يرى الباحث – فإن الحجاج خطاب موجه بدلائل معينة لإثبات قضية أو رأي معين يعتمد في نشأته على الحجة والدليل ، ومن ثم فإن طبيعة الخطاب الحجاجي لا تقتصر فقط على التواصل المعرفي بين طرفي الحجاج ،وإنما حقيقة هذا الخطاب تكمن في قصدين آخرين هما :

قصد الادعاء وقصد الاعتراض ، وهذا بوصفهما أحد بواعث الحجاج فالادعاء والاعتراض يشاركان في تكوين سبب الحجاج ؛ ولذلك فلا متكلم من غير وظيفة الادعاء ولا سامع من غير أن تكون له وظيفة المعترض ، فالمتكلم يدعي أمرًا ، والسامع يعترض على ذلك الادعاء بطلبه الدليل وإقامة الحجة.

ومن بواعث الحجاج : الاختلاف disagreement فالحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي ، ولا نحاجج في أمور يقينية راسخة – على الرغم من الاختلاف التام في موضوع القضية الفلسطينية إذ يثبت الشعراء حقائق تاريخية – كالحقائق الرياضية مثلاً ، وإنما يكون الحجاج كما يقول " بيرلمان " فيما هو مرجح Likely وممكن possible ومحتمل probable "[1] ولكن هذه البواعث والأبعاد مختلفة إلى حد كبير في شعر القضية الفلسطينية ، كما أن الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي بحيث تقرر ما تقرره أو تنفي ما تنفيه على سبيل الحقيقة المؤكدة الراسخة التي لا تقبل شكًا أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحة ما تنفيه إذ ليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقية واحدة أو مطلقة بل لها حقائق متعددة ومتدرجة وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى أو أن تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب.

ويجد الباحث إزاء هذه المفاهيم الحجاجية أن ماهية الحجاج في شعر القضية الفلسطينية من المؤكد أنه يأخذ منحى مغايرًا لما هو مألوف في فكرة الحجاج إذ إن الحقائق والوقائع التي يثبتها الشعراء في أحقيتهم بالأرض لا تقبل التزييف أو المغايرة، بل إنها حقائق تؤكد ملكيتهم لأرضهم في الوقت الذي يعرف الجميع أن ما يلجأ إليه الصهاينة هو تغيير لهذه الحقائق من خلال نشر الأكاذيب والادعاءات الباطلة ، التي تمكنهم من فرض السيطرة على الأرض العربية ، إن ما يفعلونه هو يطلق عليه (الزيف المتفق عليه) وتحديدًا منذ صدور وعد بلفور عام

1917 فإذا كان الاختلاف – بوصفه باعثًا من بواعث الحجاج – قائمًا بين المتكلم والسامع في أمور ومواضيع ممكنة ومرجحة فإنه في هذه القضية قائم في أمور وحقائق تؤكد من جانب الشعراء الفلسطينيين – عروبة القدس ، وتؤكد من جانب اليهود محاولات تهويد القدس.

وإذا كان الحجاج لا يقوم على الاختلاف في أمور وحقائق ومعارف متفق عليها ومشروعة ، فإن الحجاج في شعر القضية الفلسطينية يقوم على (المغالطة) أو كما ذكرنا آنفًا (الزيف المتفق عليه) بين الجميع ، إذ إن الجميع يعرفون أحقية الفلسطينيين في أرضهم ، ومع ذلك ينكرون هذا الحق ويتغافلون عنه متعمدين لترسيخ دعائم الدولة اليهودية في القدس ، ويمكن للباحث أن يصوغ القضية في القول (تأسيس دولة إسرائيل على أرض عربية) ، ثم دخول الشعراء في دائرة إثبات عروبة أرضهم ونفي ادعاءات اليهود الذين عاشوا مشتتين في أنحاء كثيرة لم يكن لهم وطن فكانت نشأة وطنهم على أرض فلسطين.

كما تمثل الوقائع باعثًا آخر من بواعث الحجاج هذا من منطلق أنها مشتركة بين عدة أشخاص أو بين مجموعة من البشر الأمر الذي يدفع الجمهور إلى التسليم بها إذ إنها غالبًا ما تكون غير قابلة للدحض أو الشك فهي تشكل بذلك نقطة انطلاق ممكنة للحجاج والتسليم بهذه الوقائع يعد من مقومات الاقتناع العقلي.

– تقنيات وسائل الحجاج :

ينبثق الحجاج – بوصفه فكرة نقدية – من اللغة ، ولغتنا العربية هي أغنى اللغات بالمفردات والتراكيب ، وهذه من أهم السمات التي تعين في إقامة الحجاج فالثراء اللغوي يعد – من وجهة نظر الباحث – من أهم الوسائل الحجاجية ، حيث يتم استغلال طاقات اللغة من ألفاظ التعليل وأساليب لشرط ، وكذلك استغلال طاقات الوسائل البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز ، وغير ذلك من أدوات تتيح للأديب الغوص في أعماق التراث بهدف تثبيت دعائم حجته مثل توظيف الأساطير وتوظيف الشخصيات التراثية (فكرة القناع) ، حيث يمثل اللجوء إلى التراث بعامة التمسك بوسائل إقناعية تتس بالأصالة ، مما يقوي رأي الأديب أو حجته في الوصول إلى غايته المثلى التي تتمثل في دحض ادعاءات الآخرين.

ومن آليات الحجاج الوسائل الأصولية والفلسفية ومنها القياسي الذي سماه (طه عبد الرحمن) بـ " الاستدلال الكلامي " . في كتابه (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) ، ويقوم القياس بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما ويمكن القول : " إن القياس هو البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي حقيقة كان أو مجازًا ، فإن الأول مجاز ، فإما أنه استعاري أو غير استعاري فإن كان الأول فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تقوم بها

الاستعارة ، وإن كان الآخر فمرده إلى دلالة المفهوم المعتبر في القياس وأما إن القول حقيقية فلا مندوحة من التسليم بأن تعلقه".[1]

وتكمن أهمية القياس في أن الخطاب الحجاجي لا يصدر حكمًا من عنده بل يعتمد على ما يجده من شَبَهٍ بين ما يصدره وبين الأصل الذي يعتمد عليه في القياس.

ومن الآليات الحجاجية : الوسائل البلاغية ، وقد ذكرناه آنفًا ما للاستعارة والتشبيه والمجاز من قوة وتأثير في اعتمادها بشكل كبير على التصوير وهذا الجانب يعتمد على فنون اللغة وطاقاتها الإيحائية ، وهنا يمكن الإشارة إلى وظيفة الأدب ومدى تأثيره ، إذ يقوم الأدب على عنصر الخيال ، ومن ثم يكون الهدف من ذلك التأثير في المتلقي ، ويعد الإقناع هدفا من أهداف الأدب وهو بهذا المنحى الدلالي يعد آلية حجاجية ، فالاعتماد على المجاز يكون باعتبار أن العبارة المحاجَج بها الموصوفة بالمجازية حاملة لازدواج بين واقع الدعوى وقيمتها ، وما واقع الدعوى إلا ظاهرها ، وما قيمته إلا باطنها وإشارتها بحيث يكون المجاز هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارتها ، وتعد الاستعارة أفضل ضروب المجاز وأشدها وقعًا على النفس وتأثيرًا في العقل في كونها تركيب يتناسى التشبيه كما أن أنواع المجاز الأخرى تؤخذ على حد الاستعارة في قوتها والاستدلال بها وتكمن أهمية الاستعارة مثلاً في " الخاصية التي تغلب على القول المجازي الاستعاري هي أن الجنس الذي يدخل فيه المستعار أو قل إن شئت " المستعار منه " يكون مباينًا للجنس الذي يدخل فيه المستعار له "[1]، ويؤخذ الأمر نفسه على التشبيه في كونه وصف بقوة للتأثير في السامع ، وما الحجاج إلا تأثير في الخصم بالمجاز يعمد فيه المتكلم للحجاج بمعناه الباطن المشار إليه ؛ لأن الكلمة فيها مما يسمح للأديب بمساحة أكبر في التعبير من خلال وسائل لغوية وبلاغية متنوعة.

ومن الجدير بالذكر أن يشير الباحث إلى المصطلحات والتعريفات التي تتعدد وتتنوع حول هذه الفكرة النقدية ، وبقي أن نشير إلى مقدمات الحجاج التي حددها (عبد الله صولة) في :

1- " الوقائع وقد قسمها وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ووقائع مفترضة من ناحية أخرى ، وهذان النوعان من الوقائع قد يفقدان لسبب أو لآخر طابعهما الذي منهما وقائع بمعنى حقائق ولكن من حيث هما وقائع فإنهما يكونان متطابقين مع بنى الواقع التي يسلم بها الجمهور والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبًا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق.

2 – الحقائق ، وهي تقوم على الربط بين الوقائع ومدارها على نظريات عملية أو مفاهيم فلسفية أو دينية ، وقد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها.

3 – الافتراضات وهي تحظى بالموافقة العامة ولكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويها.

4 – القيم إن القيم عليها مدار الحجاج بكل ضروبه ، وهي نوعان (قيم مجردة مثل : العدل والحق ، ومحسوسة مثل : الوطن).

5 – الهرميات وهي نوعان : مجردة مثل : اعتبار العدل أفضل من النافع ، مادية محسوبة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من الحيوان ، والإله أعلى درجة من الإنسان.

إن هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها ، إذ إن ما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما يميزه ترتيبه إياها.

6 – المعاني أو المواضع : وتنقسم إلى مواضع مشتركة أو مبتذلة يمكن تطبيقها على علوم مختلفة مثل : القانون والفيزياء والسياسة كموضع الأكثر والأقل.

ومواضع خاصة تكون وقفا على علم بعينه أو نوع خطابي بعينه لا يتعداه إلى غيره ، كما أن المواضع تحدد خصائص الأمم والجماعات الفكرية والأدبية وغير ذلك".[1]

والحديث عن مقدمات أو عناصر للحجاج لا يعني فقط استيفاء هذه العناصر أو حصرها ، وإنما يتوقف الحجاج على كيفية توظيف هذه المقدمات التي تجعل الخطاب قادرًا على التأثير ، ولذلك يجب من التمكن من الأساليب اللغوية كالإطناب والترديد مما يحرك مشاعر السامع وانفعالاته كما أن التكرار يعد من طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًّا " لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها وكذلك التشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصوت ، أو من خلال الصمت الذي يسبق أداءها . ومن طرائق العرض ذات الأثر الحجاجي كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد وإن تعارضت هذه الحكايات وتضاربت فهذا من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أهمية الموضوع."[1]

ويمكن للباحث أن يضيف إلى ما سبق التعبير المباشر باللغة وبخاصة في مثل هذه القضايا المصيرية مما يكثف من درجة حضور الفكرة ويعني الباحث بذلك ألا يكتفي بالإشارة أو التلميح إلى القضية المحورية / قضية الحجاج لتكون تلك المباشرة أكثر تأثيرًا وفاعلية في السامع.

ومن خلال ما ذكره الباحث آنفًا يمكن وضع تعريف للحجاج يتمثل في : إمكانية استغلال طاقات اللغة وتشكيلها فنيًّا وأدبيًّا بما يتوافق مع حاجات الأديب في التعبير عن قضية ما بهدف التأثير والإقناع والتغيير.

والقضية الفلسطينية في الوقت الراهن من أهم قضايا العصر التي تمتلك عنصري الحجاج أو طرفيه ، فإذا كان على الحجاج هو وجود شك في مدى صحة فكرة ما ، فإن القضية هنا تحمل أبعادًا ودلالات مختلفة ؛ لأن الآخر يحاول تزييف الحقائق التاريخية عيانًا ليتخذ بذلك وسيلة يتزرع بها في المنطقة وبالفعل قد تحقق له ما أراد ، ولكن المسألة تبدو أكبر من ذلك إذ إنهم يندفعون بفكرهم هذا من منطلق الإمبريالية الغربية وتكوين مستعمرات في منطقة الشرق الأوسط ومما يؤكد ذلك أننا لا نجد في العالم الغربي من يناصر القضية الفلسطينية ويساندها.

ويشتمل الحجاج – طبقًا للمفاهيم السيميائية[2]– على سلسلة من الدلالات.

المفتوحة على العالم ، هذا من منطلق أن الثقافة المشتركة والذاكرة الجمعية[1] تؤديان دورًا مهمًا في تفعيل النشاط الحجاجي–وهنا – نجد أن التاريخ العربي لفلسطين يثبت – بلا جدال – عروبة القدس ، التي تحولت الآن من خلال تلك الأكاذيب إلى عاصمة أبدية لدولة إسرائيل منذ قيامها على أرض فلسطين عام 1948، وتلك الأبعاد السياسية التي تشوب قضية الحجاج في الشعر فضلاً عن تلك الحقائق المشتركة المعروفة والثابتة للجميع ، كل ذلك يجعل من كل شعر فلسطيني حجاجًا يعبر به الشاعر عن ذاته وذوات الآخرين ، ومن ثم تتسع الدلالات اللغوية في هذا الشعر ، كذلك فإن الأمر لم يتوقف عند حدود شعراء فلسطين فقط لأن الحجاج هنا يأخذ طابعًا قوميًّا لأن العديد من شعراء العرب تناولوا قضية فلسطين في أشعارهم ولذلك يمكن للباحث أن يصنف تلك الأبعاد المتعلقة بقضية الحجاج هنا إلى : البعد الذاتي الذي يمثله شعراء فلسطين أنفسهم ، بيد أن الحقائق التي يرتكز عليها الشعراء واضحة وجلية للجميع مما يعين على حدوث التواصل المرجو من عملية الحجاج ليتم تغيير صورة الواقع الجاثم على تفكير الكثيرين ممن لا يقيمون وزنًا لمعاني العروبة والقومية العربية والبعد الآخر : البعد القومي الذي يتمثل في دفاع الشعراء العرب عامة عن عروبة القدس وإثبات أحقية أبناء فلسطين لأرضهم ، وهذان البعدان هما الرئيسان في قضية الحجاج في الشعر الفلسطيني على أن هناك بعدًا أخيرًا وهو البعد الإنساني لهذه القضية وهو بعد عام لا يقتصر فقط على قضية الحجاج وإنما يشتمل جوانب أخرى ، وإن كان للباحث أن يعيد تسمية تلك الأبعاد فمن الممكن أن يطلق عليها : النزعة الذاتية ، والنزعة القومية والنزعة الإنسانية.

وإذا كان الخطاب الحجاجي يخاطب العقل ليحدث الاقتناع ، فإن العقل ليس شيئًا مطلقًا وإنما هو محدد بحدود لغوية ومعرفية تختلف من متلق لآخر وهذا ما ينبغي على الأديب أن يأخذه في الاعتبار عند إنشاء النص وهذه المراعاة للمخاطب تقتضي منه أيضًا توظيف المرجعيات الثقافية التي تحظى بالقبول والمصداقية ، بمعنى أنه يجب أن تستند إلى مرجعية ثقافية مشتركة وعلى سبيل المثال فإن توظيف الشواهد الدينية يعد من الحجج الجاهزة التي بها يحصل التصديق والاقتناع وكذلك الحقائق التاريخية وغيرها مما يحمل على الإذعان.

الخاتمة

يُعد الحجاج فكرة نقدية مهمة تتوافق مع إمكانيات اللغة العربية بكل فنونها الأدبية ، ومن خلال ما سبق توصل الباحث إلى بعض النتائج تتمثل في :

1- وضع تعريف للحجاج مضمونه : إمكانية استغلال طاقات اللغة وتشكيلها فنيًّا وأدبيًّا بما يتوافق مع حاجات الأديب في التعبير عن قضية ما بهدف التأثير والإقناع ومن ثم التغيير.

2 – إن فكرة الحجاج – على الرغم من أنها لم ترتق إلى حدود المنهج – تنبع أهميتها في غايتها التي تتمثل في التغيير ؛ مما يعني إضفاء أبعاد عملية على الفكر وتطبيقه ، مما يضفي على النصوص الحجاجية قيمة نفعية فضلاً عن قيمتها الجمالية.

3 – يتسع مفهوم الحجاج وتتعدد الوجهات التي تناولته ما بين اللغة والبلاغة والفلسفة والمنطق ، مما يعني شمولية هذه الفكرة ، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الدراسات التي تناولت الحجاج منذ القدم لم تهتم كثيرًا بالحجاج في الشعر ، بل ركزت عليه في الخطابة من منطلق أن الشعر هو الفن الأول الذي برع فيه العرب ، وبخاصة أن العرب جمعوا فيه بين البلاغة والفصاحة وحسن المداخل والبيان وقد أعانتهم اللغة العربية على ذلك فهي طاقة شحذت قرائحهم بهذه الملكات وأدت بهم إلى الإبداع والابتكار وليس التقليد.

4 – ليس الحجاج بغريب عن تراثنا ، بل إن له جذورًا ضاربة في أصوله ومعانيه الحداثية التي انبثقت منها هذه الفكرة النقدية التي أراها في غاية الأهمية بوصفها معيارًا نقديًّا قويًّا من

شأنه – إذا أحسن استغلاله – أن يكون عاملاً على التغيير والارتقاء الثقافي في العصر الحاضر ، من منطلق اعتماده على القوة ودحض الآراء المطروحة للحجاج ، فهو غاية بحثية ؛ أن يكون لدينا منهج قوي مدعوم بلغة قوية ، وأن يكون لدينا فكر يعمل على التغيير ليس لمجرد الوقوف عند حدود الكلمة.

المصادر والمراجع

1- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ت 370 هـ – الجزء الثالث ، تحقيق الدكتور : أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2007 .

2 – لسان العرب ، ابن منظور ، الجزء الثاني ، تحقيق عبدا لله الكبير وزميليه دار المعارف ، القاهرة ، 1977 .

3- أساس البلاغة ، الجزء الأول ، الزمخشري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ، 2003.

4- جمهرة اللغة ، الجزء الأول ، ابن دريد ، تحقيق رمزي منير بعلبكي دار العلم للملايين ، بيروت ، 1977.

5- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد خليل عيتاني دار المعرفة ، بيروت ، 2005 .

6 – القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، 1969.

7 – ديوان الأدب ، لأبي إبراهيم الفارابي ، تحقيق عادل عبد الجابر الشاطي مكتبة لبنان ناشرون ، 2003.

8 – المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، الطبعة 36 ، 1997 .

9 – معجم الأفكار والأعلام ، هتشنسون ، ترجمة خليل راشد الجيوشي دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2007 .

10- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقه في البلاغة الجديدة الجزء الأول : حدود وتعريفات ، د / حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتاب الحديث إربد ، الأردن ، 2010.

11- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 5 ، 2003.

12- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية.

13- مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987.

14- أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، 1979.

15- منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني تقديم وتحقيق / محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي الطبعة الثالثة ، 1986.

16- أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني حققه : شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف ، 1969.

17- بلاغة الإقناع في المناظرة ، د / عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013.

18- نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، ضمن (أهم نظريات الحجاج في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس.

19- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د / طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى ، 1998.

20- بين بلاغتين ، د / مصطفى ناصف ، ضمن (قراءة جديدة لتراثنا النقدي أبحاث ومناقشات الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي في الفترة من 19 إلى 1988/11/24 كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، 1990.

21- التواصل والحجاج ، طه عبد الرحمن ضمن (سلسلة الدروس الافتتاحية الدرس العاشر) كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1993–1994.

22- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينيةد / جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1973.

23- المعجم الفلسفي، مراد وهبة ، دار قباء ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1998.

24- موسوعة لالاند الفلسفية ، أندرية لالاند ، ترجمة / خليل أحمد خليل منشورات عويدات ، بيروت ، 2001.

25- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق نصر الدين تونسي مطبعة القدس ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007 .

26- المنطق،محمد رضا المظفر،دار التعارف للمطبوعات ، بيروت لبنان1995.

27- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية حتى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه سامية الدريدي ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2008.

28- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د / صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، القاهرة ، 1996.

29- الحجاج ، كريستيان بلانتان ، ترجمة : عبد القادر المهيري ، المركز الوطني للترجمة ، دار سيناترا ، تونس ، 2008.

30- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس.

31- الخطابة ، أرسطوطاليس ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، 1979.

32- المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة معجم إنجليزي عربي، د / محمد عناني الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الطبعة الثانية ، 2003.

33- المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي ، د / عبد الفتاح محمد أحمد دار المناهل ، بيروت ، 1987.

---

[1]أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، عبد القادر المهيري ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس ، كلية الآداب ، منوبة ، ص5 .

[1]تهذيب اللغة ، الأزهري ، الجزء الثالث ، تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن مخيمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007 ، صـ 19.

[2]لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (حجج) ، تحقيق عبد الله الكبير وزميليه ، دار المعارف ، القاهرة ، 1977 ، جـ2، صـ779.

[3]أساس البلاغة ، الزمخشري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2003 ، جـ1 ، صـ 154 ، مادة (ح ج ج).

[1]جمهرة اللغة ، ابن دريد ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1977 ، جـ 1/443 ، جـ2 / 1037.

[2] سورة الأنعام ، من الآية 149 .

[3]سورة الشورى : من الآية 16.

[4]سورة الشورى : من الآية 15 .

[5]المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد خليل عياني ، دار المعرفة ، بيروت ، 2005 ، صـ 115.

[6]القاموس المحيط الفيروز أبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط 5 مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1969 ، جـ 234 ، (فصل الحاء).

[7]ديوان الأدب ، لأبـى إبـراهيم الفـارابي ، تحقيـق : عـادل عبـد الجـابر الشـاطي ، مكتبـة لبنـان ، ناشـرون ، 2003 ، صـ 126مادة (حجج).

[1]المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية ، الجزء الخامس ، مادة (حجج) ، 2000 ، صـ 92 – 93 .

[2]المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط 36 ، 1997 ، صـ 118.

[3]معجم الأفكار والأعلام ، هتشنسون ، ترجمه : خليل راشد الجيوسي ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنـان ، طـ 1 ، 2007 صـ 171.

[4]الحجـاج مفهومـه ومجالاتـه دراسـات نظريـة وتطبيقيـة فـي البلاغـة الجديـدة ، الجزء الأول ، الحجـاج حـدود وتعريفات دكتور حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2010 ، صـ 38 .

[1]الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، صـ 39 .

[2]البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 5 ، 2003 ، الجزء الأول ، صـ 88 .

[3]البيان والتبيين ، الجزء الأول ، الجاحظ ، صـ 114 .

[4]المرجع السابق ، الجزء الثاني ، الجاحظ ، صـ 17 .

[1]البيان والتبيين ، الجزء الأول ، الجاحظ ، صـ 115 ، 116 .

[2]كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار الفكر العربي ، صـ 434 .

[3]مفتاح العلوم ، السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1987 ، صـ 438 : 439 .

[4]أساس البلاغة الزمخشري ، ت (٥٣٨ هـ)، دار صادر ، بيروت ، 1979 ، صـ 113 .

[1]منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخواجة ، دار الغرب الإسلامي ، ط 3 ، (1406 / 1986 م) ، صـ 62 : 63 .

[2]سورة إبراهيم : من الآية ٤ .

[1]أنـواع الربيـع فـي أنـواع البـديع الجـزء الرابـع ، ابـن معصـوم المـدني ، حققـه : شـاكر هـادي شـاكر، مطبعـة النعمان – النجف الأشرف، 1389 هـ / 1969 م ، صـ 356 : 357 .

[2]بلاغة الإقناع في المناظرة ، د / عبدا للطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2013 ، صـ 101 .

[3]نظرية الحجاج في اللغة ، شكري المبخوت ، ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم) إشراف حمدي صمود ، جامعة الأدب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب – منوبة ، تونس ، صـ 370 .

[1]اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د / طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الأولى 1998 ، صـ 259 .

[2]بين بلاغتين ، د / مصطفى ناصف ، ضمن (قراءة جديدة لتراثنا النقدي أبحاث ومناقشات الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي في الفترة من 19 إلى 24/11/1988) كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة ، 1990 ، صـ 381.

[3]التواصل والحجاج ، الأستاذ عبدا لرحمن طه ضمن (سلسلة الدروس الافتتاحية – الدرس العاشر) كلية الآداب والعلوم الإنسانية البراط ، 1993 – 1994 ، صـ 6 .

[1]المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية،د/ جميل صليبا، دار الكتب اللناني،بيروت، 1973،صـ 446.

[2]المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء ، القاهرة ، 1998 ، الطبعة الرابعة ، صـ 278 .

[3]موسوعة لالاند الفلسفية ، أندرية لالاند ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، 2001 ، جـ1 ، صـ 94

[4]التعريفات ، علي محمد الجرجاني ، تحقيق : نصر الدين تونسي ، مطبعة القدس ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 ، صـ 128 .

[5]المنطق ، محمد رضا المظفر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ ، صـ ٣٢٥ .

[1]الحجاج في الشعر العربي القديم من الاجهلية حتى القرن الثاني للهجر بيئته وأساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتاب الحديث إربد ، الأردن ، 2008 ، صـ 21 .

[1]بلاغة الخطاب وعلم النص ، د / صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، 1996 ، صـ 95 .

[*] وردت هكذا في الأصل المنقول، ولعلها (عقلي).

[2]الحجاج ، كريستيان بلانتان ، ترجمة عبد القادر المهري ، المركز الوطني للترجمة ، دار سيناترا ، تونس ، 2008 ، صـ 14 – 15.

[1]الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمَّادى صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب ، منوبة ، صـ 29.

[2]الحجاج ، كريستيان بلانتان ، صـ 18 : 19 .

[1]الحجاج ، كريستيان بلانتان ، صـ 33 : 34 .

[1]الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاة ، عبد الله صولة صـ 300 .

[1]الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاة ، عبد الله صولة ، صـ 300 .

[*]يفرق المؤلفان بيرلمان وتيتكاة بين الاقناع والاقتناع ، إذ يقسمان الحجاج قسمين بسبب نوع الجمهور هما الحجاج الاقناعي وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص ، والحجاج الاقتناعي : وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل ؛ فهو عام .. وهما يجعلان الاقتناع وهو عقلي دائما أساس الإذعان وأساس الحجاج وأن الاقتناع بما هو ذاتي وخاص وضيق لا يعتد به في الحجاج.

[2]الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة ، صـ 301 .

[3]المرجع السابق ، صـ 301 .

[4]نفسه ، صـ 302 .

[1]الخطابة ، أرسطوطاليس ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ،دار القلم ، بيروت ، 1979 م، صـ 6 .

[1]الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة لبيرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة ، صـ 303 .

[2] المرجع السابق ، صـ 305 .

[3]نفسه ، صـ 307 .

[1]مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته ، أستاذ / عباس حشاني ، مجلة المخبر ، العدد التاسع ، 2013 ، جامعة بسكره ، الجزائر صـ 179 .

[1]مجلة المخبر ، العدد التاسع ، مرجع سابق ، 2013 ، صـ 281 .

[1]مجلة المخبر ، مرجع سابق ، صـ 284 .

[1]الحجاج : أطره ، ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة صـ308 : 311 ، (بتصرف).

[1]الحجاج : أطره ، ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ، عبد الله صولة صـ 318 .

[2]السيمياء : علم يهتم بدراسة أنظمة العلامات ، اللغات ، أنظمة الإشارات .. إلخ ،و هذا التحديد يجعل اللغة جزءًا من السيمياء والسيمياء تعد الدراسة التي تتناول أنظمة العلامات غير الألسنية ، ويعد دي سوسير أول من حاول تحديد السيمياء بقوله : " إنها العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية ، فاللغة نظام علامات يعبر عن أفكار ، ولذا يمكن مقارنتها بأبجدية الصم – البكم ، بأشكال اللياقة ، بالإشارات العسكرية ، وبالطقوس الرمزية ، على أن اللغة هي أهم هذه النظم على الاطلاق وصار بإمكاننا بالتالي أن نرتئي علمًا يعنى بدراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية وسيشكل هذا العلم جزءًا من علم النفس العام ، وسندعو هذا العلم " سيمياء " Semiologie (ينظر : السيمياء ، ببارغيرو، ترجمة : أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات بيروت، باريس ، ط 1 ، 1984 ، صـ 4 : 5.قد يطلق عليها السيميوطيقا وفق ترجمة د / محمد عناني أو السيميولوجيا حيث ترجم كلاً منهما بعلم العلامات Signs مفضلاً أيًّا منها على " السيمياء " العربية القديمة التي توحي لفظًا ومعنى بعلاقة قديمة بالكلمة اليونانية التي اشتقت منها الكلمة الأوربية الحديثة ، ودراسة موضوع العلامات اللغوية من أهم ما اهتم به عالم اللغويات السويسري (فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure) وجعله علمًا لدراسة حياة العلامات مع المجتمع ، وقد حدد الإطار العام = = لهذا العلم المتمثل في دراسة اللغة بحيث تصبح دراسة اللغة هي الفرع المختص بأهم نظام للعلامات قادر على التعبير عن الأفكار وقد قصر (سوسير) تركيزه على الطاقة اللغوية langue وهي التي تعين من يستخدم اللغة على فهم الكلام المنطوق ، وكل ذلك يبدو في ثنائيتي الدال Signifier (اللفظ) والمدلول Signified ، (المعنى) فالأول : حسي لأنه يُرى على الورق أو يُسمع منطوقًا والآخر ذهني (

ينظر : المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي عربي ، د / محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الطبعة الثانية ، 2003 ، صـ 153 : صـ 160 .

[1]قدمت الدراسات النفسية مفهوم (يونج)للاشعور الجمعي ذلك المستودع الذي يكمن في أنسجة دماغ الإنسان ويحوي تجارب الأسلاف وخبراتهم ،ولا تظهر مكونات هنا اللاشعور حية إلا عبر مجال الأعمال الإبداعية في رؤى الفنانين ووحي المفكرين وتجارب المتصوفة ، فاللاشعور الجمعي هو مكمن المورث من تاريخ البداية و الخلق والموت ، والبعث مضافًا لايلا ذلك كله المكونات الدينية والعقيدية والخرافية ، أما مكونات اللاشعور الجمعي فهي الأنماط العليا صور كونية توجد منذ أزمنة بعيدة الغور وتعود إلى حين كان الشعور الإنساني مرتبطًا بالكون متوحدًا فيه عن طريق الترميز ، و الأسطورة ، وهذه الصورة النمطية هي التي تصل الإنسان بجذوره الأولى فيظل مرتبطًا بأرضه وجنسه وأسلافه (ينظر : المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي د / عبد الفتاح محمد أحمد ، دار المناهل ، بيروت ، 1987 ، صـ 84.